ممثلة ومسرحية عرفها الجمهور المغربي في برنامج «وقائع»

سوسن ازغارن: مثلت دور فتاة أحرقها خطيبها فثارت ضجة كبيرة

الدار البيضاء ـ «القدس العربي» ـ من بشرى الحضيكي:

بعد غياب طويل عن الساحة الفنية دام لمدة سنوات ها هي الممثلة والمسرحية سوسن ازغارن التي عرفها البعض في أول ظهور لها على الشاشة الصغيرة في برنامج «وقائع» الذي كان يعرض على القناة الثانية تعود من جديد لتطل على الجمهور المغربي من خلال المشاركة في بعض الأفلام والمسرحيات كان آخرها مسرحية «الجودة» التي تدخل في اطار مسرح المقاولة وفيلم للمخرج حسن بن جلون عن سر غيابها عن الشاشة وتجربتها في برنامج وقائع اضافة الى رؤيتها لواقع المسرح المغربي يدور هذا الحوار:

■ من هي سوسن ازغارن؟

■ **سوسن ازغارن هي فنانة وخريجة المعهد البلدي للمسرح بالدار البيضاء حيث درست مدة 7 سنوات من المسرح العربي ثم بعدها 3 سنوات من المسرح الفرنسي لأبدأ مباشرة بعد هذه السنة العمل مع بعض الفرق المسرحية وأيضا في التلفزيون.**

■ متى بدأت حياتك الفنية ومتى كان أول صعود لك على خشبة المسرح؟

■ **بداياتي مع المسرح كانت سنة 1996 اذ اشتغلت مع فرقة مسرح «الاستمرار» بمسرحية «خالتي سوسو» التي جسدت فيها دور ابنة الفنان عبد اللطيف هلال بعد ذلك كان أول ظهور لي على شاشة التلفزيون في برنامج «وقائع» سنة 1997 الذي كان يعرض شهريا اضافة الى هذا شاركت مع فرقة «البدوي» في مجموعة من المسرحيات ويبقى المسرح بالنسبة لي أب الفنون فهو يسمح للفنان بابراز طاقاته ومواهبه الحقيقية أمام الجمهور بخلاف السينما أو التلفزيون.**

■ ما هي الأدوار التي كنت تجسدينها في برنامج «وقائع»؟

■ **بعد أن اختار ملفا من الضابطة القضائية صدر بشأنه حكم نهائي وبعد الاستشارة مع المحامين الذين تابعوا الملف نكتب سيناريو عن حقيقة الواقعة وأنا كنت أشخص مجموعة من الأدوار أول حلقة في البرنامج والتي أديت فيها دور «مليكة السرساري» تلك الفتاة التي قام خطيبها باحراقها باستعمال البنزين أحدثت ضجة كبيرة في المغرب ورغم صعوبة الدور فقد تمكنت من تقمص شخصية الضحية وما أثارني في تجربة «وقائع» هو تجسيد أدوار مختلفة في كل حلقة رغم أن معظم هذه الأدوار تطغى عليها المأساوية وذلك راجع لطبيعة البرنامج الذي كان يناقش القضايا المتداولة في المحاكم المغربية ويحاول اعادة طرحها أمام الجمهور.**

■ بماذا خرجت من هذه التجربة؟

■ **استفدت منها كثيرا فهي نمت شخصيتي وقوتها وفي نفس الوقت جعلتني أستأنس بالكاميرا وأتعود على الوقوف أمامها تجربة دامت مدة 5 سنوات أفتخر بها لأنها أحسن تجربة كانت لي في التلفزيون**

■ هل شاركت في اعمال اخرى سينمائية أو تلفزيونية؟

■ **كان أول فيلم سينمائي ظهرت فيه هو «محاكمة امرأة» سنة 2000 لمخرجه حسن بن جلون وأيضا فيلم «علال القلدة» الذي اشتغلت فيه مع مجموعة من الفنانين كرشيد الوالي ونعيمة المشرقي عملت أيضا في تليفيلم «الحوت الأعمى» مع الفنان يونس ميكري والتي أعتبرها تجربة ناجحة اضافة الى هذا شاركت في مجموعة من المسلسلات الرمضانية كـ«دار الخواتات» و«العوني» و«قطار الحياة».**

■ ما هو سر غيابك طيلة هذه المدة عن الشاشة؟

■ **انقطعت لمدة لأنني لست فنانة فقط بل أما أيضا فاثناء فترة زواجي وانجابي لمولودي الأول غبت فيها عن الجمهور ولما عدت كان ظهوري على الشاشة ضعيفا جدا بسبب عملي في النقابة الوطنية لمحترفي المسرح الذي أخذ من وقتي الكثير.**

■ هل معنى هذا أنك تخليت عن التمثيل؟

■ **أنا لم أتخل عن التمثيل والدليل على هذا انني صورت مؤخرا سلسلة «نماذج بشرية» التي دامت 20 يوما اضافة الى تليفيلم في مكناس شاركت فيه التمثيل مع مجموعة من الفنانين كسعاد صابر وفضيلة بن موسى سيعرض قريبا على القناتين الأولى والثانية وآخر أعمالي هو فيلم مع المخرج حسن بن جلون سيعرض هو الآخر على القناة الثانية في أقرب وقت.**

■ ما هو الدور الذي تؤدينه في الفيلم ؟

■ **دور مساعدة اجتماعية تحاول حل مشكل امرأة والتخفيف من معاناتها مع زوجها.**

■ لماذا يهرب الممثلون المغاربة من المسرح الى السينما أو التلفزيون؟

■ **لأن العمل المسرحي متعب وشاق وهو يتطلب من الممثل مجابهة الجمهور مباشرة وهو يستدعي وقتا طويلا فالمسرحية قبل أن تصبح جاهزة للعرض نشتغل فيها أحيانا لمدة شهور على عكس العمل بالسينما أو التلفزيون فاضافة الى كونه مربحا فهو يسهل على الممثل ولوج عالم الشهرة بسرعة.**

■ على أبواب الاحتفال باليوم العالمي للمسرح كيف ترين وضع المسرح بالمغرب؟

■ **وضع المسرح في المغرب تحسن بشكل كبير وهذا يرجع الفضل اليه للنقابة الوطنية لمحترفي المسرح التي تدافع عن حقوق الفنانين وتساعدهم في حل مشاكلهم وفي اطار المجهودات التي تقوم بها النقابة فقد عملت هذه الأخيرة على خلق بطاقة العضوية والتي على أساسها يصبح الفنان عضوا في الفيدرالية الدولية للممثلين ونحن نسعى في المستقبل القريب الى اصدار البطاقة المهنية للفنان التي ستعمل على تقنين مهنة التمثيل وفي نفس الوقت فهي ستحسن من وضعية الممثلين سواء الاجتماعية أو الصحية.**

سوسن ازغارن (القدس العربي)

اخرجتها ايفا برغمان وشارك في تمثيلها ممثل من أصل لبناني:

«السلطان الحائر» لتوفيق الحكيم على المسرح الملكي السويدي

ستوكهولم ـ «القدس العربي» ـ من عصمان فارس:

المخرجة السويدية ايفا برغمان استطاعت ان تطرق ابواب الثقافة العربية في تقديمها عدة مسرحيات على مسارح ستوكهولم بعد مسرحية حلم منتصف الصيف باللغة العربية للمؤلف شكسبير، ومسرحية غوانتانامو، وحاليا مسرحية السلطان الحائر للكاتب توفيق الحكيم، وتعد المسرحية واحدة من بين اشهر المسرحيات العربية وشارك في التمثيل فارس فارس سويدي من أصل لبناني، ميليندا شيحنات، إرلاند جوسنون، جونل ليندبيوم، ماتس باريمان، انجفار شلسوف بيورن جرانات، اوزنوين كردي الاصل سويدي الجنسية، حسن جعفري ايراني الاصل سويدي الجنسية وآخرون. يرافق عرض المسرحية تقديم محاضرات وحلقات دراسية عن الثقافة العربية ووسائل التعدد العرقي وورشات فنية ولقاءات مع الجمهور، كتب توفيق الحكيم مسرحية السلطان الحائر سنة 1959 في باريس وما اشبه البارحة باليوم بما يجري على كوكبنا الجميل من حروب ومهاترات وصراعات نتيجة استهتار القطب الواحد ونحن نقف حيارى امام السؤال الحيوي، وكيف يمكن حل المشكلات في العالم هل الاحتكام الى السيف ام الى القانون؟ اي الالتجاء الى مبدأ القوة ام مبدأ الحكمة، اذا كان حكم السلطان يمتلك تقرير مصير البشر وخاصة انه يمتلك القنبلة النووية ويسيطر على تشريع قرارات هيئة الامم غير المتحدة وكذلك القواعد والتحالفات العسكرية، هناك فئة خائفة ومحرومة تتعرض الى الخطورة والقرار النهائي بيد السلطان فلغة السيف تعني تدمير كل شيء وخلق حالة الفوضى الشاملة. استطاع المؤلف توفيق الحكيم ان يضعنا امام هذا الموقف والسؤال المحير في اطار شرقي قديم.

فالعصر هو عصر السلاطين والمماليك والبطل هو السلطان الحائر. مملوك شجاع حارب المغول وكان شجاعا واصيلا وصل الى الحكم خلفا لسيده، لكن المشكلة في الخلافة ان سيده مات قبل ان يعتقه ولذلك وفق القوانين لا يستطيع السلطان ان يحكم الا اذا كان حرا. ففي المشهد الاول نشاهد السياف مع شخص جالس على الكرسي يضع كيسا اسود على رأسه وهو محكوم عليه بالاعدام لكونه المسبب الاول في نشر سر حكاية السلطان في المدينة. والسياف ينتظر الفجر مع الاذان لكي يقطع رأسه والمحكوم يطلب من السياف ان يشرب الخمر عند الغانية قبل الاعدام والسياف يرفض ذلك. وهنا تدخل الغانية وراقصاتها في اللعبة لمعرفة سبب اعدام هذا الرجل والسياف يرفض ذلك ويرفض البوح باسرار القضية، وفي الصباح يصل موكب السلطان الى الساحة العامة لتنفيذ حكم الاعدام وبحضور الوزير والقاضي والمحكوم يقدم مظلمة الى السلطان لكي يعيد النظر في قضيته امام الجميع، وبعد ان يكتشف السلطان انه عبد ولم يعتقه سيده قبل ان يموت يفاجأ السلطان ويصدم ويحرج امام الملأ فيقرر الافراج عن الرجل المسكين ويلغي قرار اعدامه. اما القاضي فيضع عدة خيارات امام السلطان لكي يستطيع ممارسة الحكم وبشكل شرعي، (يقول القاضي حضرة السلطان انت شجاع وتملك السيف، والسيف يقطع الرؤوس والالسن ولكنه لا يستطيع حل جميع المشاكل وامامك خيار ثاني هو ان تخضع لسلطة القانون). يفكر السلطان ملياً ما بين سلطة السيف وسلطة القانون واخيرا يقرر اختيار سلطة القانون ووفق شروط القاضي.

والقانون هو ان يباع السلطان في مزاد علني في ساحة المدينة وامام عامة الناس ويتطوع احد الناس لشراء السلطان ومن ثم يعتقه ويصبح السلطان حرا ويبقى السلطان مترددا من الفكرة ولكنه يوافق اخيرا على حكم القانون. ويتجمع الناس في الساحة ويبدأ المزاد العلني لبيع السلطان، فصانع الاحذية يفكر بشراء السلطان لكي يوقفه امام الدكان لكي يأتي الزبائن لشراء الاحذية بسبب دعاية السلطان، اما صاحب حانة الشرب ايضا فيريد جلب الزبائن الى محله ويبدأ التصويت لشراء السلطان الكل يزيد المال في مشهد فريد من نوعه لا يخلو من الكوميديا ما بين صانع الاحذية وصاحب حانة الخمر ويكون السلطان من نصيب الغانية فتشتريه وتشترط ان يبقى الليلة كاملة معها في بيتها مع الراقصات فيرفض القاضي والسلطان هذا الشرط وتصر الغانية على موقفها والقاضي يعلن افلاسه فيقرر السلطان البقاء وقضاء ليلته مع الغانية، ويدور الحديث ما بين الغانية والقاضي والاسئلة في الحب وعن حياتهما وزواجهما وتظهر له الاحترام والود والتقدير والمحبة، وانها تعتبره ملكا لها ولشعبها.

ويكون حديث الناس والاشاعات تلك الليلة حول القاضي وبيت الغانية. ويأتي وزير الشرطة ويطلب من المؤذن ان يعلن الاذان قبل الفجر لكنه يرفض واذا بالقاضي يقنعه انه سوف يحميه ويدافع عنه.. والنجوم ما زالت في السماء، القاضي ينصر المؤذن فيعلن الاذان، فيأتي القاضي والوزير الى بيت الغانية طالبا منها التوقيع على قرار عتق الملك قبل الموعد المحدد في البداية ترفض الغانية وكذلك السلطان يرفض هذه الخدعة.

اخيرا تتراجع الغانية عن قرارها وتقرر التوقيع على المعاهدة ويعتق السلطان. وتكتمل فرحة الشعب بعودة السلطان الى حكم البلاد. وهذه المسرحية ممتعة في موضوعها وفيها الكثير من العبر. والمخرجة السويدية ايفا برغمان اضافت كادرا تمثيليا شابا ورائعا ومتمكنا في صنعته الى كادر من الممثلين الكبار من السويديين في ورشة عمل فني ومختبر فني تجريبي مبهر تسوده المنافسة الحرة ومع فرقة موسيقية حية تعزف وتشارك في اللعبة المسرحية من خلال الموسيقى العربية ذات الايقاع الشرقي الاصيل. وكان اداء الممثلين جميلا ورائعا خاصة الممثل فارس فارس وهو يؤدي دور السلطان، والممثلة ميلندا وقد أدت دور الغانية وكذلك الممثل اوز وهو يؤدي دور المؤذن والممثل حسن جعفري بدور بائع الاحذية.. اما القاضي والوزير كان رائعا اداؤهما والكل اتقن دوره ووظيفته على خشبة المسرح.

ملصق المسرحية

بعد عام على رحيله:

مصير فيلم احمد زكي الاخير ما زال غامضا

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من حسام أبو طالب:

عام انقضى على رحيل النجم أحمد زكي والذي غيبه الموت بعد صراع دام تسعة أشهر مع أشهر عدوة عرفته البشرية «السرطان» ليحول لأشهر مريض في تاريخ المستشفيات.

استيقظ الوسط الفني صباح أمس ليتأكد بالفعل أن عاما مر بسرعة البرق على رحيل الفتى الأسمر الذي قضى قبل أن يتم تصوير فيلمه الأخير «العندليب»؟

وبالرغم من تلك الفترة على رحيله إلا أن الغموض عاد مجددا ليضع سياجا من الضبابية حول إمكانية أن يشاهد الجمهور آخر أعمال الفنان والذي تأجل عرضه عدة مرات من قبل.

من جانبه هرب المخرج شريف عرفة واختفى عن الساحة تماما كي يتحاشى الإجابة على السؤال الذي يواجهه كلما ذهب أو حل.. متى سيعرض العندليب. وبالرغم من ان الشركة المنتجة للفيلم وهي «جودنيوز» و التي يمتلكها الإعلامي عماد أديب أكدت مرارا أن الفيلم سيعرض خلال فصل الصيف الحالي إلا أن الشكوك تتزايد حول إمكانية وفاء الشركة بذلك الوعد وذلك بعد أن تسربت في الفترة الأخيرة أنباء مفادها أن مشاكل جديدة لازالت تواجه الفيلم قد تؤجل عرضه من جديد.

وقد تزايدت نفقات العمل وذلك بعد أن اكتشف فريق الفيلم أنهم يحتاجون لتقنيات حديثة للغاية من اجل الانتهاء من إعداده حيث يحتاجون لمزيد من الخدع لسينمائية فضلا عن الآلات الحديثة التي من شأنها أن تحل المأزق الذي يواجهه المخرج والمتمثل في أن ثلاثة أرباع مشاهد الفيلم إن لم يكن تسعين في المئة منها حسب شهادة مخرج على صلة وثيقة بشركة الإنتاج لم يقم أحمد بتصويرها ولأجل ذلك تم الاستعانة بابنه هيثم ليقوم بأدائها.

غير أن شريف عرفة ينفي هذا الكلام ويؤكد أن الجمهور سوف يحكم بنفسه عليه مؤكدا أنه إذا لم يكن العمل يليق باسم الفنان الراحل لم يكن ليسمح له بالخروج للنور.

وقد أكد عرفة في تصريحات للقدس العربي بأن العمل سيرى النور حتما مشيرا إلى أنه يشعر بأن مثل ذلك الأمر دين في عنقه لصالح الفنان الراحل والذي يعتبره واحدا من أهم نجوم السينما العربية على الإطلاق.

وفي الذكرى الأولى لرحيله نجحت القدس العربي في الحصول على شهادة من النجم عمر الشريف والذي أكد مؤخرا أنه بوسعه أن يؤكد عن قناعة بأن أحمد ليس أفضل ممثل في السينما المصرية ولكنه لو قدر له الانطلاق عالميا لأصبح واحدا من أهم ممثلي العالم. أضاف بانه كلما شاهده في عمل كان يشعر بأنه أهمل نفسه لأنه لم ينطلق ليجرب حظه في العالم الكبير حيث هوليوود ساحرة الكرة الأرضية والتي عادة ما تنصف كل موهوب وتمنح الفرصة لأي مجتهد وأشار عمر إلى أن رحيل أحمد في تلك السن المبكرة يمثل خسارة جسيمة للفن المصري والمشاهد العربي على حد سواء.

أعرب عن اعتقاد بأنه لو قدر للغرب مشاهدة اعماله لأيقنوا كيف أن مصر بها مواهب كبيرة.

على صعيد آخر فتحت الذكرى الأولى لرحيل أحمد الجراح المندملة بالنسبة لعدد من المقربين إليه وأبرزهم الفنانة رغدة التي أكدت في تصريحات خاصة للقدس العربي بأنها لا تصدق أن عاما مر بهذه السرعة فهي لا تزال تعيش أجواء ورائحة الأيام الأخيرة قبل أن يداهمه الموت حينما كانت تلازمه في الغرفة ولا تزال تحتفظ في بيتها ببعض من ذكرياته وبينها العديد من الصور التي جمعتهما معا فضلا عن بعض أنواع من الدواء الذي كان يتناوله خلال فترة العلاج وتعترف بأنها تبكيه بقوة بشكل مستمر حتى أن تلك الدموع باتت من نشاطها اليومي.

أما يسرا فما زالت تحتفظ ببعض من ذكريات الأيام الأخيرة ومن بين ذلك صور نادرة لأحمد.

أما يوسف شاهين فقد أكد للقدس العربي بأنه بعد عام من رحيله لا تزال رائحته طازجة وكأنه ما يزال حيا يرزق لذا فليس من الغريب أن يبكيه أصدقاؤه حتى الآن كلما ورد ذكره فهو العبقري الذي لن يتكرر.

احمد زكي

فضائيات

صورة المرأة في الإعلام العربي: أمومة القطط وأنوثة صماء وروح غبية وعقل غائب

هويدا طه*

■ متابعة الوسائل الإعلامية في شهر آذار (مارس) تعني كشفا أكبر لصورة المرأة التي يعكسها الإعلام.. أو ربما يصنعها، ففي هذا الشهر يأتي الاحتفال العالمي السنوي للمرأة وكذلك الاحتفال بعيد الأم، تقليديا.. تزداد كثافة عرض الأفلام والبرامج التي تناقش قضايا المرأة، وربما ما أمكن متابعته منها يكفي لإثارة تساؤل حول ما إذا كان الإعلام يعكس فقط صورة المرأة في المخزون الثقافي للمجتمع أم يكرسها ويزيد من رسوخها وينقلها من جيل إلى جيل، أم.. يصنع صورة جديدة للمرأة يمكنها طمس الصورة القديمة؟

ربما ثلاثة نماذج ـ على سبيل المثال ـ لما تعرضه الفضائيات حول المرأة تتيح لنا مجرد لمس الإجابة عن بعض هذه التساؤلات، واحد من تلك النماذج كان على قناة الصفوة ـ إحدى قنوات شبكة أوربت المشفرة ـ حيث ناقش (برنامج الندوة) مدى أحقية المرأة في الولاية، والنموذج الثاني هو أغاني الفيديو كليب بمناسبة عيد الأم وأشهرها الأغنية التقليدية الأشهر (ست الحبايب) للمطربة الراحلة فايزة أحمد، نموذج ثالث هو تلك المسابقة السنوية الشهيرة لاختيار الأم المثالية، إضافة إلى برامج تصنف باعتبارها نسائية ـ وإن قدمها رجال ـ كبرامج الأزياء والطهي وديكور المنازل.

من الواضح أن الإعلام العربي ما زال في تطرقه لمسألة قضايا المرأة يعكس صورة المرأة الراسخة في الذهنية العربية وموروثها الثقافي.. منذ عهد ثقافة البعير! حتى وإن فرض عليه التصاعد العالمي الحديث لصوت المرأة شيئا من (الالتفاف القلق) حول ما اصطلح على تسميته حقوق المرأة، إذ يناقشها العربي وفي حلقه غصة! مكره أخاك لا متمدن! فهو يستخدم تكنولوجيا اتصال حديثة جاءته وجاء معها حتى فكرة الإعلام ذاتها، كما قال بكل أريحية (إعلامي سعودي) في برنامج على قناة اليوم: (مفهوم الإعلام نفسه جاءنا مع التليفزيون وهو ليس من عندنا)! أراح واستراح! وفي إطار هذا الإكراه العولمي للعرب على مناقشة حقوق المرأة إعلاميا كان برنامج الندوة يناقش حق ولاية المرأة في الإسلام، الضيوف ومُحاورهم جميعهم من الرجال.. وأزيدكم من الشعر بيتا.. كانوا جميعهم من المشايخ! عندما ذكر المُحاور الآية القرآنية (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) قال أحدهم: «ليس هناك ما يمنع في الشريعة لكن قلة عدد الحاكمات في التاريخ دليل على أن طبيعة المرأة تعوقها عن مهمة الحكم»! جميع الضيوف راحوا يدورون حول فكرة مسؤولية (طبيعة المرأة) عن عدم تمكنها من حق الولاية، بل وعن قلة النبوغ العلمي بين النساء! هذا بالطبع متوقع من المشايخ، فأغلبهم لم ير قط دفتي كتاب تاريخ! ولم يسمع معظمهم بما وقع من تطور الأحداث وتبادل الأدوار في تاريخ البشرية، لكن المسألة هنا ليست ما كرسه هؤلاء المشايخ في المجتمعات العربية عن (دونية المرأة) باسم الأديان والنصوص المقدسة.. بل المسألة أن هؤلاء استمرت بأيديهم السطوة على عقول الناس منذ عهد البعير وحتى عهد صندوق الدنيا.. ثم عندما (جاءهم مفهوم الإعلام) استمروا في تلك السطوة أو.. ذلك السطو على العقول، نادرا ما تجد قناة فضائية أو محطة إذاعية تطرح ـ بما يكفي من الجرأة ـ فكرة أنه آن الأوان أن تدخل هذه النوعية من المشايخ إلى متاحف الزمن القديم، وأنه آن الأوان كي تخرج مناقشة حقوق المرأة على (شروح) النصوص.. القادمة من الماضي السحيق على ظهر بعير!

أما أغنية (ست الحبايب) ـ التي لها في نفس كل منا ما يدغدغ ذكريات الطفولة ـ فقد عرضت على قنوات فضائية عديدة مصحوبة بلقطات كتلك التي تعرض مصاحبة لمسابقة الأم المثالية.. مسابقة كريهة حقا! ليس لأنها تعقد للأم المثالية وإنما لأنها تكرس صورة الأم في الموروث الثقافي العربي.. الذي يطلب من المرأة دائما (التفاني والتضحية في صمت إلى ما لا نهاية منذ المهد وحتى اللحد)، اختيار هذه اللقطات هو ما يثير التأمل عن صورة الأم في الذهنية العربية والتي يعكسها الإعلام أو تعكسها الفنون.. ليس هناك لقطات لامرأة تمارس الرياضة مثلا! أو تعمل في مختبر أو تقود مظاهرة أو جمعية خدمية أو تدير مؤسسة أو تناقش كتابا أو تلقي محاضرة أو تدير وزارة أو تقضي بين الناس أو تقود طائرة أو قطارا، وإنما دائما لقطات لسيدة بدينة يلفها الحجاب تنهي صلاتها ثم تنحني على ابنها أو ابنتها لتقبلها بحنان (غريزي)، أو سيدة تعد مائدة متعددة الألوان والدهون أو سيدة تبكي في صمت.. تقترب الكاميرا ـ بتلذذ ـ من قطرات الدموع على خديها، أو غير ذلك من مشاهد بليدة، ماذا قدمت هذه الأم لأبنائها سوى طبق الملوخية اللذيذ هذا؟! هذه هي الأم المثالية في موروثنا الثقافي إذن.. أمومة غريزية كأمومة القطط! المثالية هي أن تحرم المرأة نفسها من متع الحياة؟ أن تهدهد أطفالها بهذه البلاهة؟ أن تسجن نفسها في كفن الحجاب حتى يدفنها ولاة أمرها في كفن القبر؟ أين الأم التي تحث أبنائها على القراءة والتمرد على الأفكار المتناقضة المهلهلة المهيمنة على المجتمع؟ أين الأم التي تتمتع بالحياة دون أن تخل بواجباتها؟ أين الأم التي لا تسمح للأساطير أن تقودها؟ أين المرأة الإنسان في الإعلام البعيري هذا؟!

لكن هذا الطرح لصورة المرأة في الإعلام العربي لا يعني قبول فكرة (انفصال) قضايا المرأة عن قضايا المجتمع ككل، فقضايا المرأة تجد طرقها إلى الحل تلقائيا عندما تحدث في المجتمع نهضة شاملة.. ضمنها استجابته للتنوير والتحديث وتخلص أفراده ـ ذكورا وإناثا ـ من القهر والاستبداد وتخليه عن هوس التمسك المرضي بتلك (العادات والتقاليد) المهترئة، حينئذ تتفكك الشرنقة التقليدية المتكلسة حول المرأة تاريخيا وتستطيع أن تناقش قضاياها وتطالب بحقوقها، تأويلٌ مُخِلٌ بحقائق الواقع هذا الذي يطرح الرجل كطرف معاد للمرأة، فالعدو الحقيقي هو ذلك الموروث المتخلف الذي ورثه كل منهما معا.. الرجل والمَرأة، وهذا يعني فعليا أن فكرة (تحرير المرأة) هي في وصفٍ أدق فكرة (تحرير المرأة والرجل) أو تحرير المجتمع كله من هذا التخلف الذي يسوق أفراده كقطيع أعمى رجالا ونساء، وإن كانت النساء بحكم الثقافة السائدة الأكثر تعرضا للغبن، لكن العقلية الذكورية بالمناسبة لا تهيمن على مجتمع بإرادة الذكور فقط.. بل بقبول أو خضوع النساء لها! والحق أنه لا شيء يثير الضيق من تلك الثقافة المتخلفة بقدر ما تثيره مشاهدة امرأة تخرج على الفضائيات لتدافع ـ بشراسة عجيبة ـ عما تصفه بأنه (الحق الإلهي) للرجل في التحكم بها! يذكرني هذا بلحظة غضب مر بها الشاعر أبو القاسم الشابي فكتب قصيدة رائعة مخاطبا فيها شعبه.. الذي (يستمرئ) الإذلال: «أنت روحٌ غبية تكرهُ النور.. وتقضي الدهور في ليلٍ ملسٍ .. ليت لي قوة العواصف يا شعبي.. فألقي إليك ثورة نفسي»!

نحتاج أن يتبناها التليفزيون: حملة لحث العرب على القراءة

■ لطالما كانت القراءة.. حالة، لا يمر بها (كل) الناس، حتى فرّقت الأدبيات العربية بشأنها ـ قديمها وحديثها ـ بين (الخواص والعوام) من الناس، لكن المتفق عليه عموما هو أن القراءة في العالم العربي ضعيفة جدا كمياً ونوعياً.. حتى على مستوى النخب، ولأن القراءة والكتابة هما لازمان لاكتمال تلك الحالة في مجتمع ما.. فإن إحصاء أجرته الأمم المتحدة أشار إلى أن إنتاج العرب للكتب يقل عن واحد بالمئة من الإنتاج العالمي.. هو مؤشر دال على حال القراءة في المجتمعات العربية، نتيجة ذلك أن التليفزيون صار بالنسبة للعربي هو «خير جليس» وليس الكتاب، لكن المتفق عليه أيضا أن التليفزيون (ينقل معلومة مصورة) ولا يكوّن فكرا أو يطرح نظريات، هو يلح على المشاهد فيوجهه مع الوقت إلى تكوين موقف ما أو يسوقه في تيار (رأي عام) تجاه قضية ما، لكنه لن يحقق للإنسان أبدا ما حققه الكتاب تاريخيا، هذه المكانة للكتاب دفعت معظم القنوات التليفزيونية إلى إنتاج برامج تختص بالكتب، لكنها برامج تقوم غالبا على فكرة عرض محتوى كتاب ما وربما عقد لقاء مع مؤلفه أو مع بعض المثقفين لمناقشته، من تلك البرامج على سبيل المثال برنامج (الكتاب خير جليس) على قناة الجزيرة أو برنامج (كتاب) على قناة الصفوة ضمن شبكة أوربت وبرامج مشابهة على قنوات النيل والعربية وغيرها، إنما قضية ضعف القراءة نفسها ما زالت لم تناقش بتوسع كاف حتى الآن، بحيث تصنع مناقشتها شكلا من أشكال (الحملة) لعلاج هذه الحلقة الضعيفة الهشة في المجتمعات العربية، بالطبع هناك عاملان رئيسيان في هذه القضية.. أولهما العامل الاقتصادي والسياسي الذي يجعل الكتاب مطلبا عزيز المنال لمن أراد، إما بسبب تكلفة إنتاجه في مجتمعات أغلب سكانها فقراء.. أو بسبب القهر السياسي والديني والاجتماعي الذي يخنق الإبداع والتجديد.. ويحرم الكاتب والقارئ معا من مناخ الحرية اللازم للتدفق الإبداعي، أما العامل الثاني فيتعلق بمسألة (الترجمة) ففي ظل حالة (الفقر الإبداعي) التي يتسم بها العقل العربي المشلول الآن.. لابد من النظر في إبداع الآخرين، وهذه مشكلة ناقشها برنامج «الكتاب خير جليس» في حلقة الأسبوع الماضي، لكنه ربما لضيق الوقت تناول فقط مسألة الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى، النقاش في الحلقة دار حول (أعمال روائية) عربية تترجم إلى لغات الآخرين، طبعا.. فليس لدى العرب الآن فكر يترجم أو علم ينقل أو نظرة جديدة للكون تستحق أن يقرأها الآخرون! نحن إذن في حاجة حقيقية وملحة إلى حملة شاملة ـ عبر التليفزيون طالما أنه خير جليس للمواطن العربي ـ للحث على القراءة، حملة تشارك فيها مؤسسات غنية لدعمها ماليا.. على الأقل كما تدعم برامج المسابقات التافهة! حملة تحث على القراءة وترصد مكافآت وجوائز.. وتحث على ترجمة إبداعات الآخرين دون خوف من.. أهل الكهف! حملة يشارك فيها المثقفون العرب الموجودون الآن.. قبل أن ينقرضوا من المجتمعات العربية.. فتزيد صحارينا جفافا على جفاف!

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات